

التَّسْلِيمُ لِلَّهِ حُرِّيَّةٌ

الحُرِّيَّةُ الحَقِيقِيَّةُ هي وليدةُ الإِيْمَانِ الحَيِّ بِالِإِلَهِ الوَاحِدِ الحَقِّ القَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِنْ ظِلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ الفَانِي وَبِقُوْدِنِي إِلَى نُورِ الحَيَاةِ الحَقِيقِيَّةِ مَعَهُ فِي الدَّهْرِ الآتِي .

وهذه الحُرِّيَّةُ قد وَهَبَنِي إِيَّاهَا اللهُ يَوْمَ اشْتَرَانِي بِدَمِهِ الكَرِيمِ عَلَى الصَّلِيبِ . هي أَمَامِي كُلَّ حِينٍ ، لا بَلْ تَصْرُخُ إِلَيَّ مِنْ أَعْمَاقِي ، تَتَوَسَّلُنِي أَنْ أُحَرِّرَهَا مِنْ سِجْنِهَا الدَّامِي بَيْنَ قَدَارَاتِي وَمَآثِمِي ؛ تُطِلُّ عَلَيَّ كَشَعْلَةٍ أَمَلٍ بَيْنَ ظِلَامَاتِي الحَالِكَةِ ؛ تُتَادِينِي أَنْ أُطْلِقَهَا ، وَلَكِنِّي كَأَصَمٍّ لا يَسْمَعُ ، لِأَنَّ ضَجِيجَ شَهْوَاتِي قَدْ صَرَخَنِي فَبِتُّ لا أُمَيِّزُ الأصْوَاتِ المُنَاجِيَةَ أَوْ النَّائِرَةَ فِيَّ . إِنَّنِي غَارِقٌ فِي مُسْتَنْقَعِ الخَطَايَا الكَرِيهِ والنَّتَنِ ، لا بَلْ مُعْرَقٌ فِي دَاخِلِي عَالَمِ الآثَامِ حَتَّى المِلءِ ، وَمُتَرَنَّحٌ بِدَوَارِ الشَّهْوَةِ حَتَّى النَّمَالَةِ .

مَنْ يُحَرِّرُنِي مِنْ بُؤْسِي ؟ مَنْ يَوْقِظُنِي مِنْ سَكْرَتِي ؟ أَنْصَتُ إِلَيْكَ يَا مَسِيحِي فَأَسْمَعُ وَصِيَّتَكَ : "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ المُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ ... " (متى 11 : 28) . أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ هَذَا صَعْبٌ جِدًّا وَأَنَا أَحْمَلُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِي . لا بُدَّ أَنْ أُفْرَغَ ذَاتِي مِنْ كُلِّ دُنْيَاهَا ، أَنْ أَعُودَ كَالطِّفْلِ فِي بَرَاءَتِهِ وَكالحَمَامِ فِي وَدَاعَتِهِ ، أَنْ أَصِيرَ فَارِغًا يَعْنِي أَنْ أَطْرَحَ مَنِّي كُلَّ نَجَاسَةٍ وَهَوَى . وَلِمَاذَا أُفْرَغُ ذَاتِي ؟ حَتَّى أُمْتَلِئَ مِنْ رُوحِ إِلَهِي . أَلَمْ يَقُلْ يَسُوعُ : "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَنِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعَنِي " ؟ (متى 16 : 24) . أَنْكِرُ ذَاتِي حَتَّى أَعْرِفَهُ ، حَتَّى تَتَعَكَّسَ صُورَتُهُ فِيَّ ، حَتَّى أُتَّحِدَ بِهِ ، حَتَّى أَصْبِحَ هُوَ !

التَّسْلِيمُ لِلَّهِ¹ يَعْنِي أَنْ أَحْفَظَ وَصَايَاهُ فِي قَلْبِي وَأَتَرَجِمَهَا فِي حَيَاتِي ، حَتَّى تَقُودَنِي إِلَيْهِ إِذَا أَصَغَيْتُ إِلَيْهَا وَتَعَلَّمْتُ مِنْهَا . وَلَكِنِّي غَالِبًا مَا أَسْمَعُهَا مَا عِنْدِي وَأُعَلِّمُهَا مِنْ ذَاتِي ، وَهَذَا مَا يُبَيِّنُنِي بَعِيدًا عَنِ إِسْلَامِي المُبْتَغَى .

¹التسليم لله : الإنقياد الكلي إلى إرادته وتطبيق وصاياه بدقة واعتباره السيد الحقيقي لحياتي .

وما التَّسْلِيمُ لِلَّهِ سِوَى أَنْ أُوْمِنَ أَنَّهُ هُوَ قُبْطَانُ سَفِينَتِي وَقَائِدُهَا إِلَى بَرِّ الْمَلَكُوتِ . قال بطرسُ الرسولِ يَوْمًا لِمُعَلِّمِهِ يَسُوعَ : " أُخْرِجْ مِنْ سَفِينَتِي يَا رَبُّ لِأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ ... " (لوقا 5 : 8) .
أَمَّا أَنَا فَادْعُوهُ قَائِلًا : " ادْخُلْ إِلَيَّ سَفِينَتِي يَا رَبُّ ، لَا مِنْ أَجْلِ بَرِّي ، لَا بَلْ لِتَكُونَ أَنْتَ قُبْطَانَهَا ، لِأَنَّهُ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهَا الْعَاصِفَةُ لِنُحْطَمَها ، فَأَنْتَ تَزْجُرُهَا ؛ وَإِذَا تَلَاطَمَتْ بِهَا الْأَمْوَاجُ لِنُغْرَقَها ، فَأَنْتَ تُهْدِيها ؛ وَإِذَا طَغَى عَلَيْهَا بَحْرُ الشَّرُورِ لِيُهْلِكَها ، فَأَنْتَ تُنْقِذُها .

إِذَا أَنْكَرْتُ نَفْسِي وَمَا تَبِعْتُ يَسُوعَ ، أَوْ أَفْرَعْتُ ذَاتِي وَمَا مَلَأُها هُوَ ، أَبْقَى خَارِجَ الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ هُوَ الْحَيَاةُ ، فَأَصِيرُ ابْنًا لِلْمَوْتِ وَوَقُودًا لِلنَّارِ . " أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ ، الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ ، لِأَنَّكُمْ بَدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا . إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ كَالْغِصَنِ فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ " . (يوحنا 15 : 5 - 6) .
هَكَذَا أَمْتَصُّ مِنْهُ الْحَيَاةَ ، فَلَا أَجُوعُ وَلَا أَعْطَشُ أَبَدًا ، وَإِذَا تَشَبَّهْتُ بِهِ وَهُوَ فِيَّ أَصِلُ إِلَى اتِّحَادِهِ مَعَهُ يَدَوْمٌ أَبَدًا .

أَنَا لَا أَظُنُّ أَنَّ التَّسْلِيمَ لِلَّهِ سَهْلٌ . فِيهِ أَعْرَاقٌ وَأَتْعَابٌ ، فِيهِ دُمُوعٌ ، فِيهِ أَشْوَاكٌ وَسَقَطَاتٌ ، فِيهِ حُرُوبٌ حَتَّى الدَّمِ وَلَكِنْ مَا يُعَزِّينِي هُوَ قَوْلُهُ : " ثَقُوبُوا أَنَا قَدْ غَلِبْتُ الْعَالَمَ " . (يوحنا 16 : 33) ، عَالَمَ الْخَطِيئَةِ ، عَالَمَ الشَّرِّيرِ وَالشَّرِّ . فَأَنَا أَغْلِبُ بِهِ وَلَا أَنْغَلِبُ إِذَا كَانَتْ لِي هَذِهِ الثَّقَّةُ .

وَتَبْقَى الْمَحَبَّةُ الْوَقُودُ الْأَفْضَلُ لِحَيَاتِي حَتَّى أُسْتَمِرَّ فِي الْإِبْحَارِ نَحْوَ مُشْتَهَاي الْحَقِيقِيِّ ، نَحْوَ مَلَكُوتِ حَبِيبِي ، لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الْأَبَدِ

الأب جاورجيوس متني

بسكننتا في 14 - 1 - 2010